

التفاضل والمساواة بين الناس

بقلم جناب نقولا افندي حداد الصيدلي القانوني

٢

التفاضل بازاء القانون (١)

مع ان التفاضل في الامور الاجتماعية اساس التفاضل في سائر الاحوال الاخرى بل ان كل نوع من انواعه ناشئ عن النوع الاجتماعي لان القانون مبني على العادات الاجتماعية او مستخلص منها - مع ذلك نرى ان التفاضل بازاء القانون اقل انواع التفاضل وفي البلاد المتقدمة يكاد الناس يتساوون امام القانون . وكما ارثقت البلاد في الحضارة استوى الناس لدى القضاء بالرغم من تفاوتهم في قواهم او مزاياهم . ولعل سر ذلك ان الشرائع الادبية والاجتماعية اختيارية بالنظر الى تنازع الناس البقاء . اي ان الفرد حر في ان يجري عليها او لا يجري ولكنه لا يرى بدءاً من الجري عليها حفظاً لبقائه . ولما كان الشيء الاختياري في مجراه الطبيعي والطبيعة تقضي بالتفاضل اقتضى ان يتفاضل الناس في الامور الاجتماعية كما مرّ يانه . بخلاف ذلك الشرائع المدنية فانها اجبارية اي ان كل فرد ملزم بان يجري عليها رضي او لم يرض . ومتى كان القانون محنوماً وجب ان يجوز على الجميع بالتساوي والا عصاه الذين يحجب بهم

ومع ذلك لا نرى القانون والقضاء سالمين من التمييز والتفضيل . ففي انكلترا مثلاً يختلف موقف اللورد امام القانون عن موقف موقف العامة اخلاقاً جوهرياً . وقد كانوا في العصور الوسطى متميزين عن العامة لدى القانون تمييزاً عظيماً جداً . وفي حين من

(١) نشرنا هذه المقالات المتسلسلة مع مخالفتها رأي الجامعة ومبدأها في هذا الموضوع وذلك لسببين . الاول انها تبسط باجلى وضوح وجوه القائلين بمبدأ التفاضل وتفصل مذهبهم تفصيلاً بديعاً . والثاني انها مكتوبة بيران قويم ولغة سليمة جميلة . والمجلات كالنابز ينشر منها كل مبدأ ويسمع فيها كل صوت . ولذلك نستحسن ان ننشر المجلة كل ما يستحق النشر وان خالف مبدأها . وقد وردتنا مقالة من احد افاضل المهاجرين ردّاً على هذه المقالات فرأينا ارجاء فتح باب الرد على هذا الموضوع الى ما بعد فراغ الكاتب منه

الاحيان لم يكونوا ليعاقبوا على جريمة القتل . وقد حفظ التاريخ بعضاً من اخبار هذا التفاضل امام القانون لعهد دولة الفراعنة اذ كان الناس طبقات اشهرها الكهنة والجنود والعامه ولكل طبقة معاملة قانونية تمتاز على الطبقة التي هي دونها . وكان مثل ذلك في ايام زهو الدولتين اليونانية والرومانية مع ما اشتهرت به تانك الامتاث من بث روح الديمقراطية

والان ترى الغربيين يتعمدون هذا التفاضل في كل بلاد يستعمرونها ففي الترانسفال كان البوير يميزون ابناء جنسهم على السود الوطنيين تمييز الانسان على الحيوان تقريباً . فكانوا يحظرون عليهم ركوب الدراجات " البيسكلت " وركوب الدرجتين العليين في السكة الحديدية والمشي على ارضة الشوارع . والانكليز يفعلون شيئاً من ذلك في السودان الان . والاميركان يعاملون السود عندهم شيئاً من مثل هذه المعاملة والانكليز يجرّون في الهند مثل هذا المجرى ويأتون في مصر ما يقاربه . والجندي الانكليزي في مصر يميز على الجندي المصري تمييزاً قانونياً فان سمو الخديوي اصداراً عالياً بتأليف محكمة مخصوصة لمحكمة كل وطني يعتدي على جندي انكليزي . وفي هذه الاثناء حدثت حادثة في دنشواي اعندى فيها بعض الاهالي على اربعة ضباط انكليز فأرّت هذه المحكمة المختصة هول يوم القيامة . هذا واكثر حكومات الشرق تعامل الامراء معاملة قانونية تختلف جداً عن معاملة العامة

ثم ان القانون نفسه ينصر في بعض الاحوال على التمييز بين فئة وفئة . مثال ذلك قانون برانجه الذي أدخل في المدة الاخيرة الى القانون المصري ومن مقتضاه ان يُسامح المتهم بجنحة من تنفيذ العقاب عليه اذا لم تكن له سابقة حتى اذا كرّر الجنحة في مدة خمس سنين ينفذ فيه العقابان معاً

ذلك في القانون واما في القضاء فان القضاة يراعون في احكامهم الاشخاص وحالتهم ومنزلتهم في الهيئة الاجتماعية وكثيراً ما يستعملون الرأفة بالنظر الى حالة المجرم لا الى نوع جرمه والآنون نفسه يمتوغلهم ذلك

بقي ان نرى هل يسوغ التفاضل القانوني في حال من الاحوال اية هل هو عادل وهل ترجح فائدته الاجتماعية على ضرره

رأينا في ما سبق ان التفاضل الاجتماعي اذا انتهج نهجاً قوياً كان عدلاً لاحالة بالنظر لتفاوت الناس في مزاجهم العقلية والادبية ولما كان القانون مستمداً من الشرائع الادبية

والعادات الاجتماعية وجب ان يستمد روح التفاضل ايضاً لانه من الظلم ان يتساوى المهذب والمتشرد امام القانون والقضاء اذا افضى احكما كهما الى الشجار والقتال

اشترت مرة شمامة من بائع شمام طواف على شرط ان يقطعها فان كانت حلوة صح البيع والا فسد . فقطعها فكانت تافهة . فرفضتها فغم عليّ ان آخذها وشفع تحتيمه بالكلام المهن اكي يستفزني الى الشجار ويجرني الى الخفر فاعنصمت بالحلم وحاولت ان اصرفه بالحسن فأبى واذا رأى ان بذائه لم تقض الى مبتغاه في مخاصمتي حتم ان آخذ الشمامة او يخنصم معي وغمز رفيقه - وسلّ الشمام على راسه - ان يدفعه لكي يقع الشمام ويتكسر فيدعي ابي المعتدي . واتفق ان كان الشرطي قريباً منا فاستدعيته في الحال فصرفه من امام منزلي بالرغم منه

كان بائع الشمام يتبغي ان يشجر معي لكي يضطري الى دفع ثمن الشمامة لانه يعلم اني استنكف الذهاب الى الخفر وهو لا يستنكفه ولا يخشاه مهما كانت النتيجة . وكثيراً ما يلجأ الحمار والحوزية ومساحو الاحذية في مصر الى هذه الطريقة لنيل مطاعمهم من الناس . ولا قل خلاف بينهم وبينك يهينونك لكي يستفروك الى ضربهم وحينئذ يستدعون البوليس ليحرك معهم الى الخفر . وكثيرون منهم يفتخرون بذلك ولا سيما اذا كان حكم القاضي مذبذباً لخصمهم ولكن المهذبن يفضلون احتمال الاهانة على الوقوف معهم امام القضاء

ولا يغرب عن ذهن اللبيب ان هؤلاء الذين يتحكون بالناس ويستفزونهم الى الخصام لكي ينالوا منهم ما ربههم هم من اسافل البشر واحط الناس فلا يسوغ ان يساوا الناس المهذبن المتأدين امام القانون لكي يتسلحوا ضدّهم بهذا التساوي على الاسلوب الذي سبق يياه . وكنت كلما حدثت لي حادثة كحادثة الشمامة بل افطع منها اشعر ان هذه المساواة القانونية خطأ في هذه البلاد التي يتباين الناس فيها كل التباين في ادياتهم وقلت في نفسي ان الانكليز المسيطرين على الحكومة المصرية قد تسرعوا في تعميم المساواة في البلاد لانه كان الواجب عليهم ان يعمموا التعليم والتهديب اولاً لكي تترقى اخلاق العامة وتندمط طباعهم وتنشأ فيهم بعض الفضائل وثمّ اذا عمموا المساواة القانونية وغيرها كانوا صائبين ومصلحين حقيقة . ولعمري الحق لو كان عامة الشعب ارقى منهم الان لما دفع الجبل اهل دنشاي في تيار غضبهم حتى ضربوا الضباط الانكليز وعوقبوا بالشنق والليمان ولو كنت صاحب اللواء او المؤيد او الظاهر لما ملت الانكليز على قساوة حكم المحكمة المخصوصة لانهم مضطرون ان يقسوا هذه القساوة لحفظ مركزهم بل كنت الوم الحكومة المصرية التي

لم نزل تاركة الفلاحين يخوضون في عباب جهالتهم ومع ذلك تلقى عليهم المسألة التي تلقوها على فئة راقية

فترى ان تساوي الناس امام القانون مع تباينهم في المعرفة والاداب خلل فاضح لانه ينشط المتسفل الذي يستطيب مناخ السجون ويستلذ بقسط الحبس الى التعدي على المتادب الراقى واهانتة وضربه لكي ينال وطراً منه كما تقدم الاستشهاد عليه « تأتي البقية »

شيء عن الجامعة

✽ الجامعة في اميركا ✽ تحت هذا العنوان ورد في زيفتنا جريدة المحيط التي تطبع في نيويورك ما حرفته

اجتمعنا بحضرة الرصيف الفاضل فرح افندي انطون صاحب مجلة الجامعة واذ اردنا معرفة حقيقة ما صادفته هذه المجلة الزاهرة بفوائدها من الاقبال في العالم الجديد وعواطف القراء من نحوها استطلعنا رايه في ذلك فاجابنا بما خلاصته : « ان الاقبال على الجامعة الذي وجدناه بين اخواننا في اميركا الشمالية والجنوبية منذ صدور اول جزء منها الى الان خصوصاً في الولايات المتحدة والبرازيل يقضي علينا باعادة الشكر والثناء على افاضل المهاجرين الذين ينشطون العلم والادب في هذه الديار ويأخذون بناصر المشروعات العمومية النافعة . وما زاد امتناننا اننا راينا افاضلهم يقدمون عمل الجامعة الجدي قدره ولا يجهلون التعب الذي يبذل في مجلة كالجامعة تأليفاً وطبعاً في بلاد بعيدة عن مركز المطابع العربية . وقد وردت على الجامعة عدة كتب من قرائها في اميركا اظهر كتابها مسرتهم ببقاء الجامعة في مركزها العلمي الادبي الذي كانت عليه خارج اميركا وبعدم تحويلها الى مجموعة قصص وفكاهات لا سيما وان عدد النسخ التي يرسل منها الى خارج اميركا يعادل الآن ما يرسل منها الى اميركا نفسها اي انها مجلة عمومية منتشرة في جميع اقطار الكرة الارضية من افاصي الهند حتى مصر والشام ومنها الى افاصي الاوقيانوس . فالمقالة التي تكتب في نيويورك نقرأ وتحفظ في كل قطر . وهذا يوجب عليها ان تكون